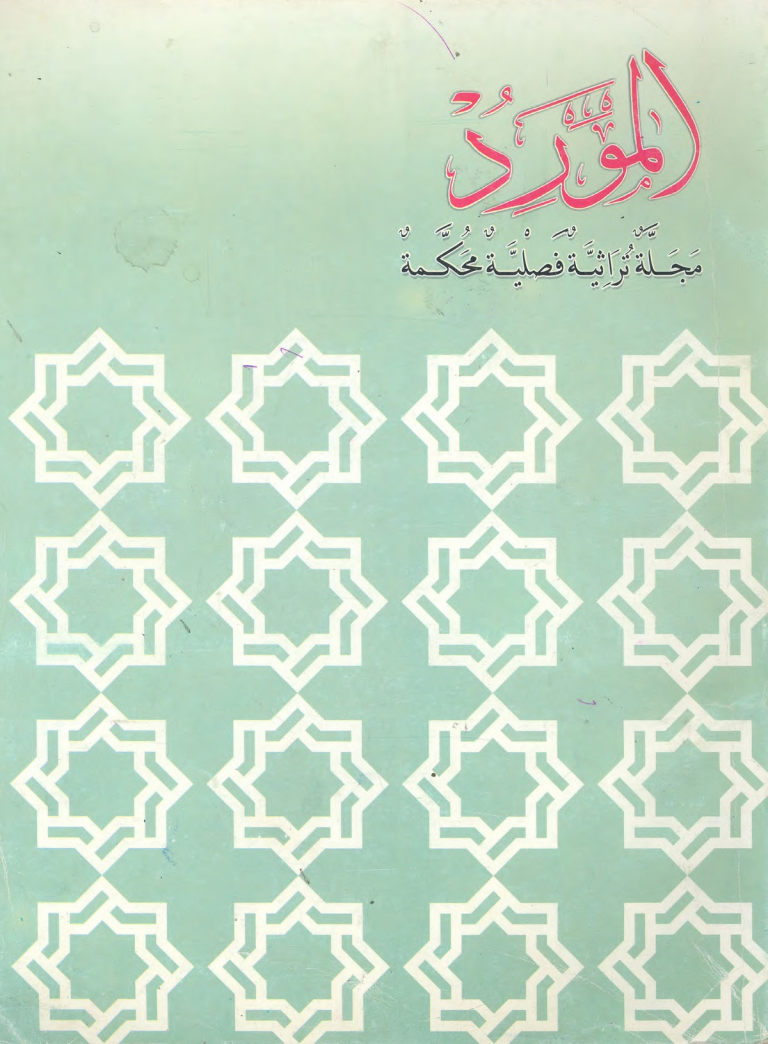
المورد
مجلة تراثية فصلية محكمة

مضمار الحقائق وسر الخلائق

بقلم الاستاذ

بدري محمد فهد

مدرس التاريخ الاسلامي في كلية الآداب
جامعة بغداد

كتاب « مضمار الحقائق وسر الخلائق » تأليف المنصور صاحب حماة محمد بن عمر الايوبي ، وتحقيق الاستاذ الدكتور حسن حبشي، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٦٨ .

وهو من المصادر المنشورة حديثاً ، وله أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ العراق في العهد العباسي الاخير ، آثرت الكتابة عنه للتعريف به وللاشادة بمحققه الذي بذل قصارى جهده في اخراجه للنور . مع تبيان بعض الملاحظات المتعلقة بتحقيقه ، وطبعه .

الكتاب والمؤلف

إن كتاب « المضمار » كما ذكر الاستاذ المحقق كان في عدة مجلدات أوصلها بعض المؤرخين الى عشرة ، الا ان الذي وصل منه قطعة لا تشمل الا سنوات قليلة ما بين ٥٧٥ ــ ٥٨٢ هـ. وانه كتب ــ أو كتب معظمه ــ بعد سنة ٥٨٩هـ.

ومن تصفح هذه القطعة الواصلة الينا يتضح بجلاء ان مؤلفها سار على نظام الحوليات فكانت السنين هي العناوين التي تقسم الكتاب . الا ان الملاحظ وجود صفحات بيضاء في الأصل نبه عليها المحقق الفاضل ، ولعل النقص الحاصل في بعض السنين مما كان قد كتبه المؤلف في موضع هذا البياض الا انه فقد بعد ذلك ومن هنا جاء ترتيب السنين هكذا : سنة ٥٧٥هـ[١] ، بياض[٢] (لعل فيه ذكر سنة ٥٧٦ هـ) ، سنة ٥٧٧ هـ[٣] ، سنة ٥٧٨ هـ[٤] ، بياض[٥] (لعل فيه ذكر سنة ٥٧٩ هـ) ، سنة ٥٨٠ هـ[٦] ، سنة ٥٨١ هـ[٧] ، سنة ٥٨٢ هـ[٨] .

وهذه القطعة بصورة عامة تحوي أخبار الدولة العباسية أولا ، واخبار صلاح الدين الايوبي ثانيا ، واخبار حملة قراقوش التقوي على بلاد المغرب أخيرا . فأخباره لذلك تشمل مساحة واسعة من البلاد العربية امتدت من العراق الى المغرب . وتبدو أهمية هذه القطعة من جهة اخرى بغزارة المعلومات التي قدمها المؤلف خلال هذه السنين القليلة حتى اصبحت تقع في ٢٣٨ صفحة من القطع الاعتيادي . والاهم من ذلك جميعا هو ايراد المؤلف نصوصاً وكتباً وعهودا تعتبر مصدرا اساسيا في توضيح كثير من الاحداث في هذه الفترة . وان الكثير منها غير

---

(١) ص ٣ (٢) ص ٤١
(٣) ص ٥٧ (٤) ص ٧٢
(٥) ص ١١٥ (٦) ص ١٦٨
(٧) ص ٢٠٥ (٨) ص ٢٣٠

موجود لدينا الآن ، ومن ثم فان بعضها يظهر لاول مرة في هذا الكتاب • ولقد بذل محققه الفاضل جهوداً مضنية في مقارنة ما تضمنه (المضمار) من هذه النصوص وبين ما ورد في كتب ذلك العصر كالفتح القسي والروضتين والنوادر والكامل في التاريخ ، فراى رجحان كفة المضمار في امداد الباحث باصول جديدة •

أما مؤلف الكتاب فهو المنصور محمد صاحب حماة بن المظفر تقي‌الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ، فهو سليل الأسرة الايوبية فأبوه عمر بن اخي صلاح الدين ، وكان من القادة البارزين الذين يعتمد عليهم صلاح الدين ، لذلك كان صلاح الدين يتركه نائبا عنه في الديار المصرية في بعض غياباته عنها • حتى ختمت حياته في حومة الجهاد • لذلك فان مؤلف كتاب « المضمار » كان ممن اشترك في الاحداث السياسية الدائرة في عصره ، وممن اطلع ولاشك على خبايا السياسة • وكانت وفاته سنة ٦١٧ هـ • وقد وصف بالشجاعة وحبه للعلماء حتى ليقال انه كان في خدمته مائتا متعمم من النحاة والفقهاء• وكان ولوعا بالادب والشعر بل كان هو نفسه ينظمه ، ووضع فيه كتابا اسمه (طبقات الشعراء) كما اهتم بالتاريخ وتدوينه ، وترك لنا كتابا ضخما فيه ، ضاع معظمه وهو (المضمار) • ومما يلفت النظر قلة المعلومات عن حياته لدى المؤرخين، ماخلا اسطر قلائل ترد عند ابي شامة والمقريزي ، وابي المحاسن ، وابي الفداء ، وابن العماد الحنبلي[٩] •

مصادر الكتاب

ان مؤلف الكتاب لم يذكر مصادره التي اعتمد عليها ولكنه اشار الى بعضها بصورة عرضية كما يبدو جليا في هذه القطعة التي بين أيدينا ، ولاندري ان كان قد ذكر ذلك في الاجزاء السابقة أو على الاقل في مقدمة الكتاب • ولكن عند الرجوع الى ترجمة المؤلف لدى المؤرخين نرى أبا شامة يصف كتابه بأنه « جملة من التواريخ وأسماء من ورد عليه واقام عنده »[١٠] • وقال عنه العماد الحنبلي « انه جمع تاريخا على السنوات في مجلدات »[١١] • فكتاب المضمار اذن قد اعتمد بلا شك على جملة كتب في التاريخ • وقد أعتمد المؤلف اضافة الى كتب التاريخ على الكتب الرسمية الصادرة عن السلطان والموجهة الى الامصار ، فقد قام باختصار هذه الكتب وادراجها في تاريخه • وقد يذكر أحيانا أسم منشيء الكتاب فيقول هذا الكتاب من انشاء القاضي الفاضل أو من انشاء العماد الكاتب[١٢] • وذكر مرة خبرا منقولا عن الكاتب ابن الانباري ــ من دون ان يذكر الواسطة التي أخذ عنها الخبر ــ هكذا « وذكر عن ابن الانباري كاتب الانشاء انه سمع ••• »[١٣] • ويبدو انه استعمل بعض الدواوين المشهورة واقتبس منها مثل ديوان الشاعر سبط ابن التعاويذي حيث أورد له عدة قصائد بعضها كثيرة الابيات[١٤] • ومن هذه الاشارات القليلة الواردة عرضا عن المصادر نرى ان للعراقية منها نصيباً وافراً حيث أشار اضافة الى ابن الانباري الكاتب وسبط ابن التعاويذي الشاعر ، الى ابن المارستانية المؤرخ بعد ذكره لفتن حدثت قال « وهذا غلط من ابن المارستانية وكانت واقعته في سنة ثلاث وثمانين ••• » • ومما يدل على كثرة مصادره العراقية وفرة المعلومات الموجودة في (المضمار) عن الخلافة العباسية والتي شغلت اكثر الكتاب • وهنا لا يملك القارىء عند مراجعته للمضمار الا ان يبدي أسفه لضياع

(٩) مقدمة الكتاب : و ــ ح

(١٠) مقدمة الكتاب : وعن ذيل الروضتين ص ١٢٤

(١١) مقدمة الكتاب : ح عن الشذرات ٥ : ٧٨

(١٢) انظر ص ١٤٧ ، ١٤٩

(١٣) ص ١١٨

(١٤) ص ١٩٠ ــ ١٩٧

اسماء تلك المصادر العراقية التي لم يشأ ان يذكرها المؤلف أو التي ذكرت ولم تصل الينا .

مادة الكتاب

تضمن كتاب (المضمار) معلومات مهمة وغزيرة عن العراق في عهده الممتد ما بين ٥٧٥ ــ ٥٨٢ هـ جاءت خلال ذكره لاحداث كل سنة من هذه السنين . ويمكن تصنيف هذه المعلومات الى : ــ

١ ــ الحالة السياسية : وتبرز من خلال الكلام على الخليفة وكبار رجال دولته مثل الوزراء واصحاب المخزن ، واساتذة الدار مثال ذلك ما جاء عن استاذ الدار الشرابي الذي ظهر مسيطرا على امور الخلافة ، وموجها للخليفة نفسه[١٥] . ثم ما جاء عن انتقام الخليفة الناصر لدين الله من صاحب المخزن ابن العطار[١٦] . أو خبر احدى المؤامرات المدبرة من قبل جماعة من الاسماعيلية لقتل الخليفة[١٧] .

٢ ــ الحالة الاقتصادية : وهي أوفر المعلومات وأهمها وتبرز من خلال الكلام على خزانة مال الخليفة[١٨] . أو من خلال اعطائه للدور على شكل هبات لأصحابه أو خدمه[١٩] . ومن خلال الكلام على بناء الخليفة للدور . أو من تركات زوجات الخلفاء[٢٠] . ومن خلال الكلام على واردات الدولة[٢١] . وكذلك الامر بالنسبة لاقطاعات كبار موظفي الدولة مثل الوزراء[٢٢] . ومن الكلام على أموال الوكلاء[٢٣] وتركات بعض الوزراء[٢٤] . والرشى من أجل الحصول على الرتب الرفيعة مثل المخزن (وزارة المالية)[٢٥] . وبعض أصحاب الثروات[٢٦] . ثم من خلال الكلام على استقرار الاسواق وارتباط ذلك بالسياسة العامة[٢٧] . ومن الكلام على الاسعار[٢٨] .

٣ ــ الحالة الاجتماعية : وتظهر من خلال الكلام على المغنيات[٢٩] . والفتوة[٣٠] . والاحتفالات الخاصة ببغداد[٣١] . وذكر بعض المزارات التي يذهب اليها الناس[٣٢] .

٤ ــ معلومات عامة اخرى : مثل بعض المعلومات عن خطط بغداد[٣٣] . أو ذكر استعمال الطابوق الملون لفرش أرض الدار[٣٤] . وغيرها .

ملاحظات حول التحقيق

(أ) ــ اخطاء في الاصل لم يصلحها المحقق :

١ ــ رئيس الرؤساء وزير المستضيء[٣٥] : والصحيح ابن رئيس الرؤساء مع العلم ان الاستاذ المحقق كتب اسمه كاملا في الهامش ولم يفطن لشهرته .

٢ ــ ورد أسم نهر الملك بدون ال التعريف هكذا (نهر ملك) في مواضع كثيرة[٣٦] . وقد شرح الاستاذ المحقق هذا الاسم في الهامش من دون ان يفطن الى الصحيح المشهور[٣٧] .

٣ ــ جاء في جملة هكذا « كان يتعصب لابن الدارنج »[٣٨] . بينما الذي يفهم من السياق انه يتعصب ضده .

٤ ــ جاء في جملة هكذا « مات الشيخ

---

(١٥) ص ٨٧ ، ١١٥
(١٦) ص ١١
(١٧) ص ٩٢
(١٨) ص ١٨١
(١٩) ص ٨٥
(٢٠) ص ١٢٣
(٢١) ص ١١٦ ــ ٢٠٨
(٢٢) ص ٢٠٦
(٢٣) ص ٨١
(٢٤) ص ١٨٥
(٢٥) ص ١٢٣
(٢٦) ص ١٣٠
(٢٧) ص ٤
(٢٨) ص ١٠ ، ١١
(٢٩) ص ٢٣٠
(٣٠) ص ٨٦
(٣١) ص ١٨٧
(٣٢) ص ١٧٧ ، ١٧٨
(٣٣) ص ٨٧
(٣٤) ص ٨٨
(٣٥) ص ٤
(٣٦) ص ٧٩ ، ١١٥ ، ١٨٠
(٣٧) انظر دليل خارطة بغداد ص ٢٤
(٣٨) ص ١٦٩

يونس فدفن على حذيفة بن اليمان بالمدائن»[٣٩]. والاجدر ا نيكون الدفن الى جوار حذيفة .

٥ ــ ورد أسم ابي الفتح ابن الدارنج حاجب الحجاب في موضع بهذه الكنيــة المذكورة[٤٠] . ثم ذكر الاسم في مواضع هكذا « ابن الدرانج » وانه تولى ديوان عرض الجيش [٤١] . فايهمــا الصحيح ان كان شخصاً واحداً وهو الأرجح ، أو انهما شخصان مختلفان ؟

٦ ــ وفي جملة « ونقل الى دار في القريــة المعروفة بقصر الخلافة »[٤٢] . وهذه التســمية لم نرها من قبل في كتب التاريخ والادب المتداولة مخطوطة او مطبوعة . وكان الاجدر التنبيه على غرابتها أو خطئها .

(ب) ــ كلمات وجمل لم يشرحها المحقق او يقــف عندهــا :

١ ــ وردت التعابير التالية « جبــة اطلس بقطي ، ومقيار مسمط بذهب عراقي»[٤٣] .

٢ ــ وردت اقتباسات من ديوان سبط ابن التعاويذي وكان الأفضل الاشارة الى مكانها في الديوان أو التنبيه عليها ان لم تكن موجــودة فيه[٤٤] .

٣ ــ ورد أسم الأمير ايلاجك مرتين[٤٥] . وكان في الموضع الثاني منهما مهماً جــداً الا ان الاستاذ المحقق لم يشأ أن يترجمه ولو بســطر واحد حيث جاء عنه مايأتي « وفيها ضرب سكلية بن ايلاجك أمير البصرة دراهم صغارا وســماها ايلاجكية ، كان ذلك بعد موت ابيه ايلاجــك بسنة »[٤٦] . والامير ايلاجك المذكور هو فخر الدين ابو منصور ايلاجك بن عبد الله التركــي المسترشدي وكان أميرا شجاعا فوض اليه حراسة طريق خراسان والجبل الى شهرزور في أيام المقتفي سنة ٥٤٣ هـ ، ثم فوض اليه سورا واعمالها الــى بوادي الكوفة فضبط الامن بها حتى ادرك الخليفة الناصر وتوفي في عهده سنة ٥٨٠ هـ[٤٧] .

٤ ــ ورد التعبير « ناظر شحنة »[٤٨] . ولم يشرحه الاستاذ المحقق ولعل بين الكلمتين شيء ساقط في الأصل اذ لم ترد هاتــين الكلمتــين مترادفتين بهذا الشكل .

٥ ــ ورد اسم أحدى الدور هكذا « فلما قبض عليه حمله الى التاج العتيق وجعله في دار الحشاشيف ؟ »[٤٩] . ولا اظن ان هذا الاســم صحيحاً .

(ج) ــ اخطاء الاستاذ المحقق في بعض التعليقات

١ ــ جعل وفاة الخليفة الناصر لدين اللــه سنة ٦٣٢هـ[٥٠] والصحيح المشهور ٦٢٢ هـ .

٢ ــ ذكر ترجمة لبعض مماليك الخليفــة الناصر لدين الله بانه مجاهد الدين خالص بن عبد الله الناصر[٥١] . وهذا ليس صحيحا اذ النسبة الى الخلفاء كانت هكذا يقال فلان بن عبدالله الناصري أو المستعصمي .

٣ ــ ذكر في الهامش شرحا لكلمة (المطبق) الواردة في الاصل بانها السجن[٥٢] ، والحقيقة ان المراد بها في المتن المنطقة التي يقع فيها السجن واليك ما جاء في النص « وافردت له الدار التي كانت لابن هبيرة ــ أحد الوزراء السابقين ــ في المطبق » .

٤ ــ اراد الاستاذ المحقق شرح معنى الفتوة التي اولع بها الخليفة الناصر فاخذ هذا الشــرح من الكتاب المنسوب لابن الساعي : مختصر اخبار الخلفاء ص١٠٩ فكان من جملة الاقتباس الجملــة « ... ولبس سراويل الفتوة ولعب الطيــور والمناســب ... » والصــحيح اللعب بالطيــور المناسيب وهي الحمام الزاجل المعروف .

---

(٣٩) ص ١٧٠ (٤٠) ص ٨٣
(٤١) ص ٢١٠ (عدة مواضع)
(٤٢) ص ١١٦ (٤٣) ص ٧٦
(٤٤) ص ٧٦ (٤٥) ص ٨٠ ، ١١٧
(٤٦) ص ١١٧
(٤٧) تلخيص مجمع الآداب ج٤ القسم ٣ ص ١٢٧
(٤٨) ص ٨٢ (٤٩) ص ٩٢
(٥٠) ص ٤ (٥١) ص ١١ هامش ٤
(٥٢) ص ٣٩

٥ ــ شرح الاستاذ المحقق مدينة بعقوبة « بانها من مدن العراق وانها كانت على الطريق المؤدي الى بغداد . » نقلا من مراصد الاطلاع ، وبلدان الخلافة الشرقية[٥٣] . ولم يشر الى انها ما تزال موجودة .

(د) ــ الاخطاء المطبعية :

(د) ــ الاخطاء المطبعية : لقد ادرجت هذه الفقرة لان الكتاب خلا من جدول للتصويبات وان كانت الاخطاء المطبعية قلما يسلم منها كتاب في المطابع العربية .

١ ــ سعود الخادم[٥٤] وقد تكررت في كثير من المواضيع ، والصحيح مسعود الخادم .

٢ ــ حتى ولو خرب[٥٥] ، والصحيح حتى لوخرب .

٣ ــ في ايام المسترضي بامر الله[٥٦] ، والصحيح في ايام المستضيء بامر الله .

٤ ــ لابنه جهير[٥٧] ، والصحيح لابن جهير وهو أحد الوزراء المشهورين لم ينبه عليه الاستاذ المحقق .

٥ ــ لهم بحذيفة وصلة نسب ، والصحيح لهم بحذيفة صلة نسب .

٦ ــ صاحب خبز[٥٨] ، والصحيح صاحب خبر .

٧ ــ ابن رئيس الوزراء[٥٩] والصحيح ابن رئيس الرؤساء .

٨ ــ تلك السلسلة[٦٠] ، والصحيح تلك الليلة .

٩ ــ الدار استاذ[٦١] ، والصحيح استاذ الدار

١٠ ــ كان اوحد الزمان في الكتابة والترسل لاتلذ النساء قبله[٦٢] ، والصحيح كان اوحد الزمان في الكتابة والترسل لم تلد النساء مثله .

١١ ــ الرازان [٦٣] ، والصحيح الراذان وهي منطقة زراعية تقع في الجانب الشرقي من دجلة[٦٤]

١٢ ــ كان استاذ الدار بقصره ويريد صرفه[٦٥] ، والصحيح يقصده ويريد صرفه .

١٣ ــ يبعضه[٦٦] ، والصحيح يبغضه .

١٤ ــ انني أرجم لهم ابا بكر وعمر[٦٧] ، والصحيح انني ارحم لهم ابا بكر وعمر .

(هـ) ــ خلو الكتاب من الفهارس

لقد خلا هذا الكتاب من الفهارس التي اعتاد المحققون وضعها في آخر الكتاب تسهيلا للرجوع الى مواد الكتاب المختلفة من اعلام واسماء اماكن أو مفردات لغوية وحضارية وغيرها والتي اصبحت لا غنى عنها حتى بالنسبة للكتب المؤلفة .

اهمية الكتاب

لقد مرت الاشارة الى ما حواه كتاب (المضمار) من معلومات كثيرة عن العراق وما فيها من محاورات وتفصيلات دقيقة[٦٨] أخذها المؤلف عن مؤرخين وادباء عراقيين وهذا يعطي الكتاب اهمية عظيمة خاصة اذا علمنا ان هذه المعلومات مما لا نجدها في الكتب المتداولة بين ايدينا في الوقت الحاضر .

ولهذا فان الكتاب يرقى الى مستوى نشوار المحاضرة وكتاب الوزراء للصابي بما حواه من تفصيلات دقيقة عن الخلافة والدولة العباسية . وفي الاخير فانني وان بينت بعض الملاحظات حول التحقيق فاني لا اقلل من جهد الدكتور الفاضل حسن حبشي وما عاناه في تحقيقه لهذا الكتاب ، متمنيا له التوفيق وشاكرا له هذا الجهد .

---

(٥٣) ص ٢٠٧
(٥٤) ص ٨١
(٥٥) ص ٨١
(٥٦) ص ٨٥
(٥٧) ص ٨٦
(٥٨) ص ٢٠٧
(٥٩) ص ٨٧
(٦٠) ص ٨٧
(٦١) ص ٨٨
(٦٢) ص ١١٧
(٦٣) ص ١١٨
(٦٤) مسالك الممالك لابن خرداذبة ص ٦، ١٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ .
(٦٥) ص ١١٧
(٦٦) ص ١٢١
(٦٧) ص ١٢٣
(٦٨) انظر ص ١٣٤